**المحاضرة الثانية: مصادر النقد الجزائري(1)**

**1-كتاب الممتع للنهشلي:**

هو أبو محمّد عبد الكريم بن إبراهيم النهشليّ، ولد في المسيلة (المحمّدية) من بلاد الزاب (في القطر الجزائري) و نشأ فيها.

في سنة 345 ه‍(956-957 م) انتقل عبد الكريم النهشلي إلى القيروان، في أيام المعزّ لدين اللّه الفاطميّ (341-365 ه‍) ، و لقي فيها الشاعر ابن هاني و الشاعر عليّ بن الأياديّ و غيرهما.

و يبدو أنّ عبد الكريم النهشليّ دخل في خدمة بني زيري الصّنهاجيّين، منذ أوائل عهدهم بخلع دعوة الفاطميّين و استبدادهم بالحكم في المغرب، فكان كاتبا لهم في ديوان الرسائل ثمّ نال عندهم حظوة و صحبهم في حروبهم في المغرب الأدنى و المغرب الأوسط، و كان ينادمهم أيضا. و قد صحب منهم المنصور بن بلقّين (٣٧٣-386 ه‍) و ابنه باديس (386-4٠6 ه‍) .و كانت وفاة عبد الكريم النهشليّ في المهدية في الأغلب، سنة 4٠5 ه‍ (١٠١٣- 1014 م) .

كان عبد الكريم النهشليّ عالما في اللغة عارفا بأيّام العرب و أشعارهم، كاتبا مترسّلا و أديبا ناقدا قديرا و شاعرا محسنا، قيل يجيد القصائد الطوال و لا يكاد يصنع مقطوعا. و لكن لعلّه لم يجاوز في شعره نظم خمس قطع (العمدة 1:163) . و هو يذهب في شعره مذهب التروية (التفكير) و لا يرتجل أو يبتده. و شعره الرثاء و الوصف و الخمر، و لم يقل في الهجاء اقتداء بأستاذه عليّ بن الأيادي.

و له كتاب «الممتع» في علم الشعر و عمله و في النقد على نمط كتاب الشعر لقدامة ابن جعفر و كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكريّ. و على كتاب «الممتع» اعتمد ابن رشيق القيروانيّ (ت 456 ه‍) في كتابه «العمدة في صناعة الشعر و نقده» : في الموضوعات و أسماء الأبواب، كما نقل منه فصولا كاملة. و يبدو أنّه كان لعبد الكريم النهشليّ كتب أخرى أيضا لم تصل إلينا أسماؤها.

و يبدو أنّ قيمة كتاب «الممتع» إنّما هي في الجمع و التنظيم أكثر منها في الابتكار. قسم الشعر أربعة أقسام: مديحا و هجوا و حكمة و لهوا (غزلا و خمرا) . ثمّ عاد فقسمه من وجه آخر فقال: من الشعر ما هو خير كلّه (الزهد و الوعظ و المثل) ثمّ ما هو ظرف كلّه (النعوت و التشبيه و ما يفتنّ فيه من المعاني و الآداب) ثمّ ما هو شرّ كلّه (الهجاء) ثمّ شعر التكسّب (مخاطبة كلّ إنسان من حيث هو و الإتيان إليه من حيث فهمه) .

و عبد الكريم النهشلي يفضّل المعنى على اللفظ ثمّ هو يؤكّد أثر البيئة و أثر الزمن في مرتبة الشعر (يحسن في بيئة أو في زمن ما لا يحسن في بيئة أخرى أو في زمن آخر) .

مختارات من آثاره:

قال عبد الكريم النهشليّ في الشكوى:

أ واجدة وجدي حمامة أيكةٍ... تميل بها ميل النزيف غصونها

نشاوى و ما مالت بخمر رقابها... بواكٍ و ما فاضت بدمع عيونها

أفيقي، حمامات اللّوى، إنّ عندنا... لشجواك أمثالا يعود حنينها

و كلّ غريب الدار يدعو همومه... غرائب محسودا عليه شجونها

و قال عبد الكريم النهشلي :

الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل. قال بعض الحذّاق: المعنى مثال و اللفظ حذو. و الحذو يتبع المثال و يتغيّر بتغيّره و يثبت بثباته.

في اختلاف الشعر بحسب الأمكنة و الأزمنة (من كتاب «الممتع») :

قد تختلف المقامات و الأزمنة و البلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، و يستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره. و نجد الشعراء الحذّاق تقابل كلّ زمان بما استجيد فيه و كثر استعماله عند أهله بعد، و إلاّ تخرج (اقرأ: خرجت) عن حسن الاستواء و حدّ الاعتدال و جودة الصنعة. و ربّما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيرا في غيره، كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم و نوادر حكاياتهم.

و الذي أختاره أنا التجريد و التحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، و يبقى غابره على الدهر و يبعد عن الوحشيّ المستكره و يرتفع عن المولّد المنتحل (5) و يتضمّن المثل السائر و التشبيه المصيب و الاستعارة الحسنة. . .

الشعر أصناف: فشعر هو خير كلّه، و ذلك ما كان من باب الزهد و المواعظ الحسنة و المثل العائد على من تمثّل به بالخير و ما أشبه ذلك؛ و شعر هو ظرف كلّه، و ذلك القول في الأوصاف و النعوت و التشبيه و ما يفتنّ (6) به من المعاني و الآداب؛ و شعر هو شرّ كلّه، و ذلك الهجاء و ما تسرّع به الشاعر إلى أعراض الناس؛ و شعر يكتسب به، و ذلك أن يحمل (الشاعر) إلى كلّ سوق ما ينفق فيها و يخاطب كلّ إنسان من حيث هو و يأتي إليه من جهة فهمه. . .

**2-العمدة لابن رشيق:**

أبو علي الحسن بن رشیق القیرواني من أفضل البلاغیین والناقدین والأدباء والشعراء في تاریخ الأدب العربي، ولد في المسیلة وتسمّی المحمدية، أما عن أسرته، فليس للمؤرخين اهتمام به ولا بأسرته، وأما عن أبيه فقيل أنه کان روميًا ومولیً من موالي الأزد عندما کان عمره ست عشرة سنة، رحل إلی مدينة [القيروان](https://hyatok.com/%D8%A8%D8%AD%D8%AB_%D8%AD%D9%88%D9%84_%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%86) لأنها کانت في قديم الزمان دار العلم في المغرب، واشتهر بها ومدح صاحبها المعز بن باديس واتصل بخدمته وأمضی أربعين عامًا ما بين حلقات العلم وقصره في المسجد، فعرف بالقيرواني.

کان ابن رشيق مسالمًا قنوعًا، يتجنب معاداة الناس، ولم يكن صاحب همة في التنقل سعيًا لمنصب أو عطاء وکان متدينًا إلی حدّ ما، أما عن سلوکه العلمي ففيه تواضع العلماء وأمانتهم، تتلمذ علی عدد من علماء عصره، منهم؛ أبو الرجال القزاز، والحصري، والنهشلي، وله آثار منها: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده والشذوذ في اللغة وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب، وطراز الأدب والممادح والمذام.

وقد فقد معظم شعره، كما أن أکثر ما عثر عليه حتی الآن هو مقطوعات صغيرة لا تتجاوز بيتين، وشعره الذي وصل إلينا وإن کان ناقصًا يدل علی أن ابن رشيق تناول فنونًا مختلفة، وقد طرق أکثر الأبواب الشعرية وأغراضها، منها؛ المدیح والوصف، والعتاب والمجون.

يعدّ العمدة في محاسن الشعر وآدابه من أشهر مؤلفات ابن رشيق القيرواني، والتي تنيف على ثلاثين كتابًا، وهو الكتاب الذي أشهره وخلَّد اسمَه من بين آثاره، وقد أراد له أن يكون موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته ونقده وأغراضه والبلاغة وفنونها، والذي لا بد للأديب من معرفته من أصول علم الأنساب، وأيام العرب، وبلدانها وملوكها وخيولها، وفيه 39 بابًا في البلاغة وعلومها، و59 بابًا في فصول الشعر وأبوابه، و9 أبوابٍ في فنون شتى.

ومن أبوابه الممتعة والشيقة باب سرقة الشعر وأنواعها؛ كالاصطراف والسلخ، والانتحال، والغصب والإغارة، والمرادفة، والاهتدام، والإلمام، والمواردة والاختلاس، قال ابن خلدون: هو الكتاب الذي انفرد بهذه [الصناعة](https://hyatok.com/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%A7)، ولم يَكتب فيها أحدٌ قبله ولا بعده مثله، ومن نوادر ابن رشيق فيه: ما نقله عن كتاب المنصف في سرقات المتنبي للكاتب ابن وكيع التِّنِّيسي.

ألف ابن رشيق كتابه ما بين عام 412 و425 هـ وأهداه لأبي الحسن بن أبي الرجال الشيباني الذي كان مربِّي المعز بن باديس، ورئيس ديوان كتَّابه الذين كان منهم ابن رشيق، فرجع فيه إلى ما ينيف على الثلاثين كتابًا غير الدواوين، منها كتب ضاعت بأكملها؛ كالأنواء للزجاجي وطبقات الشعراء لدعبل، وعلى كتاب العمدة معوَّل كل من طرق هذا الباب من الكتَّاب، فعندما طبع عام 1928 م كتاب الكاتب المنسوب لضياء الدين بن الأثير وكفاية الطالب في نقد كلام الشاعر، تبين أنه نقل عن العمدة مئة وإحدى عشرة صفحة كاملة، وأنه ليس في الكتاب سوى خمس صفحات تخلو من النقل عن العمدة، وللعمدة نسخٌ مخطوطةٌ في الكثير من مكتبات العالم، أقدمها لا يتجاوز سنة 679 هـ، وأتى على وصفها ووصف طبعات الكتاب منذ طبعته الأولى بتونس عام 1865م الدكتور محمد قرقزان في طبعته المميزة للعمدة، أشار في مقدمتها إلى عثرات ابن رشيق وأخطائه وأوهامه، وأتبع ذلك ذكر ما لحق طبعاته المختلفة من التحريفات، والتصحيفات ولابن رشيق كتاب يعد بمثابة الذيل للعمدة، وقد سماه: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب.

**القيمة النقدية لكتاب العمدة:**

شخصية ابن رشيق ذات أثر واضح فــي النقد والأدب وتناوله في دراسته ابن خلدون في كتابه المقدمة، وأحمد أمين في كتابه النقد الأدبـي، وشوقي ضيف فـي كتابه فـي النقد الأدبي، وهذا الكتاب النادر اشتمل على معظم فنون البلاغة.ذكر في المقدمة مولد ابن رشيق القيرواني عام 390هـ/999م، بالمسيلة، وهو من علماء القرن الرابع للهجرة، توفي عام 456هـ/1064م، وقد اختلف العلماء في تاريخ وفاته، لكن الراجح ما ذُكر، تتلمذ على يد القزاز النحوي، وهو من أهل القيروان، وعلى يد أستاذه عبد الكريم النهشلي، ومن مؤلفاته شعراء القيروان ورسالة قراضة الذهب، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده وهو كتاب مميز وهذا الأخير منظوم يتخلله النثر، ولابن رشيق القيرواني قصائد شعرية، ومن أقواله في الشعر: "إن الـمـقـام بـمــــثل حـا = = لـى لا يتم مع القُعُـــــودِ"

ولقي الكاتب خصومًا بسبب الكتاب، حتى اتهمه بعضهم بالسرقة والتخطئة، مما اضطر المؤلف لتحديهم بأن يأتوا بمثله، ومما ذكره في المقدمة حبه للسلف والدفاع عنهم، وعن منتجاتهم، وذكر سبب الانصراف عن السلف أولها الانبهار بعلومه، ثانيها كتب أسلافنا تظهر بصورة متسخة بسبب باعة الكتب.